3/1 – الأنا. الوطن : الاغتراب

لا يوجد معنى واحد محدد **للاغتراب** لتعدد مجالاته[1]، إذ يبقى خصيصة إنسانية ملازمة للوجود البشري، تعبر عن قوة حساسية أصحابها، وكلما زادت هذه الحساسية توهج وعي صاحبها، ازدادت حدة الاغتراب.

ويرد لفظ(**الاغتراب**) في المعاجم العربية بمعنى الغربة عن الوطن[2]، ومن المؤلفات غير المعجمية التي أوردته كتاب(أدب الغرباء) يقول صاحبه:" فقد الأحبة في الأوطان غربة"[3]، ليكون بذلك الاغتراب بالمعنى اللغوي هو الابتعاد والانفصال.

ويجمع صاحب كتاب(الإشارات الإلهية) هاتين الغربتين يقول: "غريب نأى عن وطن بني بالماء والطين، وبعد عن ألاف له عهدهم الخشونة واللين، ولعله عاقرهم الكأس بين الغدران والرياض، واجتلى بعينيه محاسن الحدق المراض، ثم إن كان عاقبة ذلك كله إلى الذهاب والانقراض[...]، فأين أنت عن غريب قد طالت غربته في وطنه، وقل حظه ونصيبه من حبيبه وسكنه ؟ أين أنت عن غريب لا سبيل له إلى الأوطان ولا طاقة به على الاستيطان؟"[4]، ويرى أن الغربة الثانية أقسى، وأشد إيلاما، وتتقاطع مع الأولى في دلالات المحنة والانكسار والفقد.

إن موقف الشاعر أبي الحسن الحصري من المرأة ثم من الموت يوضح نظرته المتشائمة إلى الدنيا بما فيها من أحاسيس اليأس ومرارة الفقد؛ وقد اجتمعت عليه فيها خطوب الغربة وفراق الأهل وافتقاد الأنيس، وغدت حياته ثقيلة الاحتمال، وتغيرت سيرته من إقبال على الدنيا إلى إعراض عنها، وعاش مغتربا لطبيعته المرهفة؛ إذ الشاعر أكثر

---

[1] – انظر كاميليا عبد الفتاح: الشعر العربي القديم(دراسة نقدية تحليلية لظاهرة الاغتراب)، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، 2008. وينظر: محمد راضي جعفر: الاغتراب في الشعر العراقي، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999 . وينظر: صالح الزامل: تحول المثال (دراسة لظاهرة الاغتراب في شعر المتنبي)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1،2003

[2] –الفيروزآبادي(مجد الدين محمد بن يعقوب) : القاموس المحيط، تح مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت، ط5، 1996، ص152–153.

[3] –أبو الفرج الأصبهاني : أدب الغرباء ، تح صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1، 1972، ص32.

[4] – التوحيدي(أبو حيان): الإشارات الإلهية، تحقيق عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات الكويتية، دار العلم، بيروت، ط1، 1981، ص113.

الناس تحسسا بأقذاء الحياة وأشواكها، وكأنما كتب على ذي العقل والحس أن يشقى دوما بعقله وحسه،"والأديب بطبيعته يتصف بعدم القناعة، وعدم الرضا عن ذاته، وعن سواه، ويمكن التأكيد بأن الأدب والشؤم كانا متلازمين دوما، ومن قبل كان أبو العتاهية وأبو تمام وابن الرومي ثم المتنبي والمعري"[1]، وكان معهم الحصري الضرير القيرواني، هؤلاء الشعراء وغيرهم بطبيعة نفوسهم المتلهفة، ومشاعرهم المرهفة ونزعاتهم المتوثبة، "يجنحون في حياتهم إلى التمرد، ويغدون أكثر تجاوبا مع جوانب الحياة المظلمة، وصدماتها المؤلمة"[2]، وكانت بذلك أشجى ألحانهم التي عزفوها على قيثارة الحزن واليأس وألم الغربة؛ وهذا الأخير هو الذي أغنى، وعمق إحساسهم، وسما بخيالهم، إذ "ما بلغ من نفس الشاعر المغترب أقسى من تجربة الاغتراب"[3]، التي عايشها الحصري بعد أن اقتلع من تراب وطنه(القيروان)، وانتزع من بين أهله، وطوح به في بلاد أحس غربته فيها، لتبدأ مأساة الاغتراب يقول:(البسيط)//(د: ص128)

مَـوْتُ الْكِرامِ حَيَاةٌ فِي مَوَاطِنِـهِمْ فَإِنْ هُمُ اغْتَرَبُوا مَاتُوا وَمَا مَاتُوا

يَا أَهْلَ ودِّي لاَ وَاللَّهِ مَـا انْتَكَثْتْ عِنْدِي عُهُودٌ وَلاَ ضَاقَتْ مَوَدَّاتُ

لَئِنْ بَعُدْتُمْ وَحَالَ الْبَحْرُ دُونَكُمُ لَبَيْنَ أَرْوَاحِنَا فِي النَّوْمِ زَوْرَاتُ

مَا نِمْتُ إِلاَّ لِكَيْ أَلْقَى خَيَالَكُمُ وَأَيْنَ مِنْ نَازِحِ الأَوْطَانِ نَوْمَاتُ

إِذَا اعْتَلَلْنَا تَعَلَّلْـنَا بِذِكْرِكُـمُ لَوْ أَحْسَنَتْ بُرْءَ عِلاَّتٍ تَعِلاَّتُ

أَصْبَحْتُ فِي غُرْبَتِي لَوْلاَ مُكَاتَمَتِي بَكَتْنِيَ الأَرْضُ فِيهَا وَالسَّمَاوَاتُ

مَاذَا عَنِ الرِّيحِ لَوْ أَهْدَتْ تَحِيَّتَهَا إِلَيْكُمُ مِثْلَ مَا تُهْدَى التَّحِيَّاتُ

اعتمد الشاعر معجم **(الغربة)** بترديداته المختلفة، وما يتصل بهذه الدلالة من ألفاظ توحي بالمعاناة والمكابدة (**اغتربوا – انتكثت – بعدتم . نازح . غربة . اعتللنا . علات .**)، وربطها بدلالات **(الموت):(موت . ماتوا . بكتني)**: معتمدا خصيصة الترديد ليؤكد هواجس

[1] – طه حسين من بحثه المقدم إلى اليونسكو عن(الأديب والمجتمع) بالفرنسية، وقد عربه ابراهيم الكيلاني انظر مجلة المعرفة، عدد تموز، 1963 .

[2] – عمر الدقاق : ملامح الشعر المهجري، منشورات جامعة حلب، 1978، ص238 .

[3] – المرجع نفسه، ص ن.

هذه الثنائية وحضورها وهيمنتها على نفسه، "فالشاعر عندما يكرر وحدة معجمية بنفس الألفاظ أو بلفظ قريب منها، فإنه يقصد إلى الإلحاح والتأكيد على عنصر دلالي[...]، ويعزز هذه الفكرة أن التكرار يتأثر دائما بالهواجس، والأحاسيس الأساسية التي تدمن الحضور في البنية النفسية"[1]، فهو يجعل الاغتراب معادلا للموت – وإن كان موتا معنويا سبق الإشارة إلى قساوته –، ويقابله زوال الاغتراب معادل الحياة الخالدة –وإن اعترضه الموت الفيزيائي– ليتشكل المثلث الآتي محولا الثنائية:(حياة،موت) إلى:

أ– **ثلاثية الوطن**، و **ب– ثلاثية الاغتراب** :

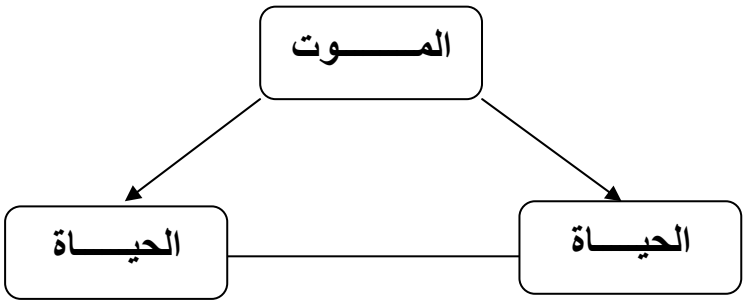

الشكـــــــــــل: أ

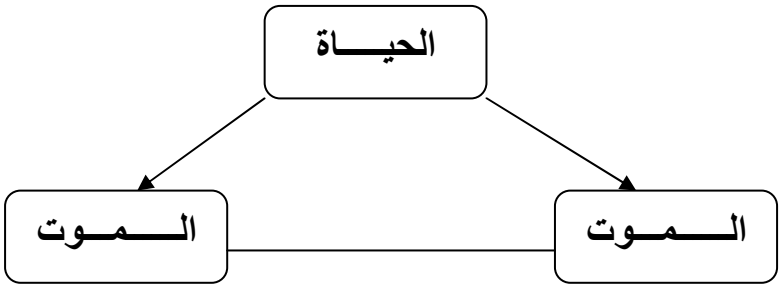

الشكـــــــــــل: ب

ويصرح بأن غربته حملت موته معتمدا على إيحاءات الألفاظ:

غربتي ـــــــــــالموت ـــــــــــبكتني الأرض والسماوات .

[1] –عمر محمد طالب: عزف على وتر النص (دراسة في تحليل النصوص الشعرية)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000، ص 177.

فتنفتح هذه الأبيات على الموت وتنغلق عليه أيضا في البيت الأول:

– **مَوْتُ..... ..... مَاتُوا وَمَا مَاتُوا**

وهو موت معنوي ينتفي من الناحية الفيزيائية، لتنغلق على ترديد نفس المعنى منتقلة من الحكمة العامة إلى تجربة الشاعر الشخصية:

– **أَصْبَحْتُ فِي غُرْبَتِي ..... بَكَتْنِيَ .....**

ليتأكد موت الشاعر المعنوي، وامتناع موته الفيزيائي باعتماد حرف الشرط (لولا) العاكسة لوطأة اليأس والقلق والاكتئاب خاصة إذا انفتحت على استحضار الماضي بالقيروان، وحنين الشاعر إلى أيامها المشرقة فرارا من واقعه بأرض الغربة؛ "فإذا تذكر المرء تجارب ماضيه السارة فقد تنسيه حاضر المؤلم"[1]، يقول الشاعر المغترب:(البسيط)//(د:ص125)

كَأَنِّيَّ لَمْ أَذُقْ بِالْقَيْرَوَانِ جَنًى وَلَمْ أَقُلْ: هَا لأَحْبَابِي وَلاَ هَاتُو

وَلَمْ تَشُقْنِي الْخُدُودُ الْحُمْرُ فِي يَقَقٍ وَلاَ الْعُيُونُ الْمِرَاضُ الْبَابِلِيَاتُ

أَبَعْدَ أَيَّامِنَا الْبِيضِ الَّتِي سَلَفَتْ تَرُوقُنِي غَدَوَاتٌ أَوْ عَشِيَّاتُ

أَمُرُّ بِالْبَحْرِ مُرْتَاحًا إِلَى بَلَدٍ تَمُوتُ نَفْسِي وَفِيهَا مِنْهُ لَوْعَاتُ

وَأَسْأَلُ السُّفْنَ عَنْ أَخْبَارِهِ طَمَعًا وَأَنْثَنِي وَبِقَلْبِي مِنْهُ لَوْعَاتُ

هَلْ مِنْ رِسَالَةِ حِبٍّ أَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى سِقَامِي فَقَدْ تُشْفِي الرِّسَالاَتُ

يرتهن المكان(**القيروان**) بعنصره البشري (**أحبائي**) الذي سيكسبه جماله، ويجمعهما الزمان(**أيامنا البيض**)، المكان ارتبط بالزمان، وهما معا صنعا الإطار الذي أكتسب الأهمية من خلال العنصر الإنساني الذي اشتمل هذا الإطار عليه.

وبالوقوف عند أول هذه الأبيات نجدها استهلت بـ (**كأنني**)، وهي في عرف النحويين حرف مشبه بالفعل، "ونعني بها حالة الإنسان إذا قبل أن يكون وكأنه كائن، لا أن يكون كائنا بالفعل"[2]، لينفي بها الشاعر (**كونه**)، وهو ما تؤكد العبارة(**لم أذق**) بدلالتها على الانقطاع الحاصل بعد الاتصال والالتصاق بالقيروان؛ فحرف الجر(**الباء**) أفاد الالتصاق،

[1] – شكري عزيز الماضي: محاضرات في نظرية الأدب، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، ط1، 1984، ص117.

[2] – أنطوان معلوف: مدخل إلى المأساة، ص150.

ولا يمنع ذلك دلالتها على الظرفية المكانية، ليعوض(**في**)، إلا أن (**كأن**) و(**لم**) جزمت بحدوث الانقطاع والانفصال = الاغتراب، لتنتفي معه اللذة الحسية المعبر عنها بالجنى، وقد شاركت الحواس الأربعة في تذوق هذه اللذة: البصر . الشم . اللمس . التذوق، ولم تبق إلا حاسة السمع التي سيكملها شطر البيت الثاني(**قلت: ها . هاتوا**)، وتهمين الحاسة البصرية (**الحمر- العيون**)، لتنحرف بالمعنى المجرد للأيام جاعلة البياض رمزا للسعادة، ومحيلة الحاضر سوادا دون التصريح به، وتنتهي الأبيات بتأكيد ألم الشاعر، وسقامه،

ويأسه من معاودة الاتصال بالوطن، وما تحمل من دلالات:(**أسأل . طمعا . أنثني**)؛ ويلتفت الشاعر/ المغترب إلى وطنه يناجيه بلوعة ولهفة، ويلحن من قلبه المحترق أنغاما مفعمة بالشوق والحنين، "وما عاطفة الحنين في جوهرها إلا نزوع شعوري طاغ إلى ما افتقده الإنسان، وميل عارم إلى وصاله"[1]، وهو لا يستطيع الانقطاع عن موطن الذكريات والأشجان يقول:(البسيط)/(د:ص126)

أَلاَ سَقَى اللَّهُ أَرْضَ الْقَيْرَوَانِ حَيًا كَأَنَّهُ عَبَرَاتِي الْمُسْتَهِلاَّتُ

فَإِنَّهَا لِدَةُ الْجَنَّاتِ تُرْبَتُهَا مِسْكِيَّةٌ وَحَصَاهَا جَوْهَرِيَاتُ

ويتعلق بفردوسه المفقود، ويدعو له بالسقيا لتحيا الذكريات، فلم يبق له غير التعلل بذكر الوطن والالتفات إلى العهود الزاهية فوق ربوعه، "ومن طبيعة النفوس المعذبة أنها في غمار حياتها العابسة وواقعها المتجهم، تجنح لاستعادة رصيدها السالف وعواطفها الغابرة هربا مما هي عليه من أسى وكآبة، وعند ذلك يطيب لها العيش في رحاب الماضي البهيج، وتستمرئ التهويم في عالم الذكرى الجميل"[2]، يقول:

(البسيط)/(د:ص126)

هَلْ مَطْمَعٌ أَنْ تُرَدَّ الْقَيْرَوَانُ لَنَا وَصَبْرَةُ وَالْمُعَلَّى فَالْحَنِيَّاتُ

مَا إِنْ سَجَا اللَّيْلُ إِلاَّ زَادَنِي شَجَنًا فَأَتْبَعَتْ زَفَرَاتِي فِيهِ أَنَّاتُ

وَلاَ تَنَفَّسْتُ أَنْفًا فِي الرِّيَاضِ ضُحًى إِلاَّ بَدَتْ حَسَرَاتِي الْمُسْتَكِنَّاتُ

[1] – عمر الدقاق: ملامح الشعر المهجري، ص87 .

[2] – المرجع نفسه، ص 95–96.

هَذَا وَلَمْ تَشْجُ قَلْبِي لِلْرَبَابِ رُبًى وَلاَ تَقَصَّتْهُ مِنْ لُبْنَى لُبَنَاتُ

وَلَوْ دُعِيتُ لِبُسْتَانٍ فَجَدَّدَ لِي وَجْدًا وَإِنْ كَانَ فِي مَعْنَاهُ سَلْوَاتُ

وَلَوْ تَرَانِي إِذَا غَنَّتْ بَلاَبِلُهُ أَشْكُو الْبَلاَبَلَ لَو تُغْنِي الشَّكَيّاتُ

إِنِّي لأَظْمَأُ وَالأَنْهَارُ جَارِيَةٌ حَوْلِي وَأَضْحَى وَدُونَ الشَّمْسِ دَوْحَاتُ

وَمَا أَرَى الْمَوْتَ إِلاَّ بَاسِطًا يَدَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُمْكِنَ الْمَأْسُورَ إِفْلاَتُ

في هذه الأبيات التي تفتح باستفهام الشاعر المعذب(**هل**)، وهو يخرج عن ماهيته الطلبية، ويحمل شعور المغترب خاصة إذا أفاد التيئيس، وارتبط بالأسر وتبقى أمنية الشاعر/المغترب(**مطمعا**) سيفتك الموت به، وتغدو رؤية الوطن أمرا بعيد المنال؛ لتعصر الغربة قلبه، وقد أضاع مرابع لهواه ومسراته، ومؤمل مطامعه وأحلامه، ويخفق في أن يجد عنه بديلا، وهو ما أكدته حروف النفي:(**لا- لم**)، وهذا الشعور باليأس والوحشة سيزيد من حدة اغترابه، لتنفتح الأبيات بالغربة، وتنغلق على الموت، وتبقى المشاعر والذكريات والسعادة رهينة الوطن تؤجج جذوة الحنين، يقول شوقي ضيف:" وهل حياة العرب في الماضي إلا حنين وإلا ذكرى؟، وهل هم مذ كانوا إلا رحل؟، وما بكاء الأطلال إلا الصورة الثابتة لهذا الحنين الذي نما معهم مع مرور الزمن، واختلاف المنازل والأمكنة، إنه امتداد للروح العربية"[1]، والشاعر/ المغترب يفرغ في أوقات الحرج والحزن إلى أساليب تهدئة مستعيدا بها ذكريات النشوة والانشراح، ليتشبث بماضيه وأصالته، "ويحاول استرجاع الفردوس المفقود، ويشكل بذلك شكلا من أشكال مقاومة الانصياع،

أو لنقل هو مظهر لا شعوري من مظاهر إدانة الزمن المسروق"[2]، يحقق صيانة التماسك داخلي للذات، ويحمل **طابعا مأساويا**، يتخطى الحاضر باستخراج الذات من الماضي، فالذكرى "لا تعلم دون استناد جدلي إلى الحاضر، فلا يمكن إحياء الماضي إلا بتقييده

[1] – شوقي ضيف : دراسات في الشعر العربي المعاصر، ص263.

[2] – يوسف اليوسف : الغزل العذري، ص43.

بموضوعة شعورية حاضرة بالضرورة"[1]، لتتوافق بذلك جدلية السعادة والتعاسة مع جدلية الزمن؛ إذ يختلط الزمان غير المجدي بالزمان الذي يفيد، يقول الحصري: (طويل)/(د:ص132)

عَلَى الْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَإِنْ عَفَتِ الدَّارُ سَلاَمُ غَرِيبٍ لاَ يَؤُوبُ فَيُزْدَارُ

وَحُقَّ بُكَاءُ الْعَيْنِ وَالْقَلْبُ مُسْعَدُ لِمَنْ بَاتَ مِثْلِي لاَ حَبِيبٌ وَلاَ جَارُ

أُعَادَى عَلَى فَضْلِي وَاسْتَصْحِبُ الْعِدَى وَلِي حَسَنَاتٌ عِنْدَهُمْ هِيَ أَوْزَارُ

مَدِيحِي هِجَاءٌ وَابْتِسَامِي تَجَهُّمٌ وَشَكْوَايَ كُفْرٌ وَاعْتِرَافِي إِنْكَارُ

وَلَمْ أَرَ مِثْلِي فَاضِلاً يُنْقِصُونَهُ بَلَى قَلَّمَا يَخْلُو مِنَ الْقَرْضِ دِينَارُ

عَزِيزٌ عَلَيْنَا أَنْ نُقِيمَ بِذِلَّةٍ فَلَيْتَ حَشَايَانَا الْوَطِيئَةَ أَكْوَارُ

يسجل الشاعر بشكل انكساري وبهموم إنسانية غربته(**غريب**) التي قوت شعوره بالافتقار للآخر:(**لا يؤوب**)= نفي العودة = نفي الاتصال، (**لا حبيب لا جار**)= نفي الحبيب = نفي الاتصال، ليؤكد انفصاله المعبر عن **مأساوية** الإحساس بالوحدة، ليشكل الاغتراب الخلفية الحقيقية لمعاناته المحددة بجملة العلاقات التي تربطه بغيره من الناس، ويطفو على السطح ضمير ياء المتكلم:(**فضلي – مديحي – ابتسامي – شكواي– اعترافي– مثلي**) مقترنا بالرفض: رفض الآخر الاتصال به، وتوطيد أواصر المحبة معه، جاحدا سعيه منكرا حقه، محاولا إذلاله، ورفض **الأنا المغتربة** الإقرار بهذا الواقع والتسليم بالمفروض، وهو احتجاج سينمي الإحساس بالعزلة؛ "فعجز الشاعر عن الملاءمة بين ذاته، وبين الواقع الاجتماعي المحيط به هو الذي أضفى على شعره طابعا احتجاجيا، وصور ما أصبحت عليه(**الأنا**)الشاعرة من وحدة وعزلة"[2]، وقد يكون ذلك أشد **مأساوية** لأن الشاعر/ المغترب أصبح ولا معين له في عالم يضج بالقبح والخلل، يقول: (طويل)/(د:ص134)

بَرِمْتُ بِمَا أَلْقَاهُ مِمَّنْ أُوَامِقُ وَأُوْذِيتُ حَتَّى لاَ أَرَى مَنْ أُصَادِقُ

إِذَا مَا امْرُؤٌ أَصْفَيْتُهُ الْوِدَّ وَاثِقًا بِخُلَّتِهِ لَمْ تَصْفُ مِنْهُ الْخَلاَئِقُ

فَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ إِلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ أَنَا مُذْنِبٌ أَمْ لَيْسَ فِيهِمْ مُوَافِقُ

[1] – غاستون بشلار : جدلية الزمن، ترجمة خليل أحمد خليل، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص 47.

[2] – صالح الزامل : تحول المثال، ص39.

فَلاَ أَنَا مَسْرُورٌ بِمَنْ هُوَ وَاصِلِي حِذَارًا وَلاَ آسِي عَلَى مَنْ أُفَارِقُ

وَدِدْتُ بِأَنْ أَلْقَى مِنَ النَّاسِ مُنْصِفًا إِذَا قُلْتُ حَقًا قَالَ لِي أَنْتَ صَادِقُ

آلام الحصري تتولد من يقينه بأنه دائما أكبر مما يعطى، وأعلى قدرا مما يملك، وأنه لم يصل بعد إلى بغيته وإلى ما يستحقه، ليمتلأ ديوانه بنغمة تعظيم الذات وإكبارها أمام الذوات الأخرى، واغتراب التفوق أو الثقة بإمكانات(**الأنا**)، وهو ما أسمته مدارس علم النفس(النواقص المعرفية)، "فالمغترب يستشعر رغم ضياعه وانسحاقه وحرمانه مما يستحق أن يعتلي قمة هؤلاء الناس الذين يمثلون وجها مشابها واحدا وصوتا واحدا مهما تباينوا في الظاهر"[1]، إذ ضريبة التفوق هي غربة الفاضل من الناس هي أساس محنة كل إنسان، وهي سمة يشترك فيها جميع الشعراء الذين اغتربوا، واستخلصوا حقيقتها من الحياة، لتبرز (**الأنا**) منفصلة عن الآخر/ العالم من حولها بعد أن عجزت عن تحقيق التواصل، وتكون هذه(**الأنا**) جذر غربته، يقول: (طويل)//(د:ص134)

أَذِلُّ مِرَارًا لِلْصَدِيقِ تَوَاضُعًا وَأَسْطُو عَلَى مَنْ يَعْتَدِي وَأُرَاهِقُ

فَهَلْ أَنَا فِي ذَا يَا لَقَوْمِي ظَالِمٌ أَمْ الْحَقُّ بَادٍ فِي الَّذِي أَنَا نَاطِقُ

(**الأنا**) تسعى للتواصل ومواجهة العزلة من خلال الاتحاد بـ (**الأنا الأخرى**)؛ وحين تحس خيبة مسعاها تتأرجح بين أوجاع الاغتراب، وآمال الانتصار الشخصي لإثبات الوجود والوصول إلى المجد المبتغى يقول: (الكامل)//(د: ص389)

لَكِنَّنِي حَيْثُ الْمَعَالِي لاَ تُرَى وَيُعَدُّ جَامِعُ فَضْلِهِنَّ مُلَخِّصَا

لَوْ كُنْتُ فِي غَيْرِ الْجَزِيرَةِ أَعْمَلَتْ مِصْرُ إِلَيَّ الْيَعْمُلاَتِ الْرُّقَّصَا

هَذَا مَحَلٌّ لاَ أُحِبُّ حُلُولَهُ وَالْمَحْلُ أَقْصَدَنِي إِلَيْهِ وَأَشْخَصَا

أُنْظُرْ إِلَى عَيْنِيَّ كَيْفَ تَقَلَّبَتْ وَاسْأَلْ عَنِ الْخَبَرِ الْيَقِينِ وَأَفْحَصَا

يعي الشاعر بأن وجوده في غير مكانه وهو وعي مأساوي، ويدور بين قطبي الرحى: (**ظلمة العين وغربة الوطن**)، و(**نزعة التفوق عنده**)، وتميزه وانفراده يقول: (المتقارب)//(د:ص346)

[1] – كاميليا عبد الفتاح: الاغتراب في شعر أبي العلاء المعري، ص61.

مَعَ القَارِظِينَ بِهَا عُدَّنِي وَأُقْسِمُ لاَ تَرْجِعُ الْقُرَّظَا وَكَانَ

ابْنِيَّ الْبَرُ عَبْدُ الْغَنِيُّ عَطِيَّةَ رَبِي الَّذِي أَحْنَظَا

نَسَيْتُ بِهِ جَنَّتِي الْقَيْرَوَانَ وَعِشْتُ بِهِ نَاعِمًا فِي لَظَى

يحاول الشاعر/ المغترب أن يتواصل مع الغربة مقارعا ألوان العذاب محققا التوازن بعملية النسيان، ولكن الانكسارات تلاحقه، ويقف موت الابن حائلا دون خروجه من كآبته، يقول: (خفيف)/(د:ص278)

كُنْتُ فِي غُرْبَتِي كَأَنِّي بِهِ فِي وَطَنِي فَانْقَضَى فَعُدْتُ غَرِيبَا

ليترافق هذا الاغتراب بالانطوائية والعزلة ومكابدة الهموم، يقول: (طويل)/(د:ص396)

وَمَالِي إِلاَّ الْهَمُّ بَعْدَكَ هِمَّةٌ أَلَسْتُ غَرِيبًا لاَ رَبِيعٌ وَلاَ رَبْعَا

وَمَا لاَذَ بِاللَّذَاتِ مَنْ جَاوَرَ الْعِدَا فَسِيءَ بِهِمْ عَيْشًا وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعَا

فكل ما في حياة الشاعر/ المغترب مؤلم ولو كان بهيجا، لم يعد يحس بسمة الحياة لأن حلاوتها ممزوجة بالمرارة، ويصطبغ بذلك الوجود بألوان نفسه، فهو لا يرى من كأس الحياة إلا نصفها القاتم؛ "فالمتفائل إذ يتطلع إلى الكأس يرى نصفها مليئا بينما لا يرى فيها المتشائم سوى نصفها الخاوي"[1]، ويرغب عن زخرف الحياة، وزينتها، يقول: (طويل)/(د:ص406)

عَفَاءً عَلَى الدُّنْيَا الْبَغِيِّ فَإِنَّمَا بَشَاشَتُهَا كَالْبَارِقِ الْمُتَخَطِّفِ

الإحباط سيترك نفسه كسيرة قانعة حزينة، تؤثر الخمول أو الموت بعد أن كانت متوثبة للحياة، فلا يبقى ما يستلذ فيها، ولا يبالي بالعيش، وينظر إلى الإنسان لا يراه ينطوي إلا على الشر والفساد يقول: (متقارب)/(د:ص356)

وَغَادَرَنِي بَيْنَ شَوْكِ الْقَتَادِ وَإِنْ كُنْتُ لَوْلاَ التُّقَى أَشْوَكَا

فَمَا اسْتَجِيرُ بِغَيْرِ الْعِدَا وَلاَ أَسْتَرِيحُ لِغَيْرِ الْبُكَا

[...] قَعَدْتُ عَنِ الْمَجْدِ مَنْ بَعْدِهِ وَسُدَّتْ سَبِيلِي وَلاَ مَسْلَكَا

هزيمة الموت والغربة لوت عنقه، وتركته يستسلم ويغرق في الكآبة حتى يضوى جسمه، ويتهتك باللباس والزينة، ولا يحفل بهما معلنا باطل الحياة، يقول:

[1] – عمر الدقاق : ملامح الشعر المهجري، ص231.

(مخلع البسيط)/(د:ص418)

وَلَسْتُ مِنْ بَعْدِ مَا تولَّى أَنَعِّمُ النَّاسَ بَلْ أُشَقِّي
زَهَّدَنِي فِي النَّعِيمِ حَتَّى يُدَنَّسُ ثَوْبِي فَلاَ أُنَقِّي
لَوْ بِتُّ ظَمْآنَ حَوْلَ وِرْدٍ لَمْ أَتَضَرَّعْ لِمَنْ يُسَقِّي
لَوْ أَنَّ بِالْمُنْتَشِي هُمُومِي صَدَّتْهُ عَنْ قَيْنَةٍ وَزِقِّ
كَأَنَّنِي مِنْ أَذَى أُنَاسٍ بَيْنَ ذُبَابٍ وَبَيْنَ بَقِّ

إذا كان الثوب المؤنف المترف دليلا على النعيم والإيمان بخير الحياة والفرح بإقبالها، فإن الإصرار على الدنس، وتشقية الناس يقوي الإحساس بمأساة الحياة دار الشقاء، وليس أهلها بأفضل حال منها؛ تنتقل نظرة الشاعر التشاؤمية إلى الإنسان الذي رآه مطبوعا على الشر بعد أن تخير الموت الكرام، وخلصهم من براثن الدنيا، يقول:(المنسرح)/(د:ص419)

أَصْبَحْتُ فِي الأَرْضِ أَبْتَغِي نَفَقًا إِذَا كَسَدَ الْفَضْلُ بَعْدَمَا نَفَقَا
مَاتَ كِرَامُ الْوَرَى وَعَاشَ مَعِي كُلُّ كُلَيْبٍ وَلَيْتَهُ نَفَقَا

ويرى أن القبح قد تأصل فيهم، فيبحث عن مناقب يمدحها فلا يجد، يقول: (المديد)/(د:ص299)

وَيَنُو ذَا الدَّهْرِ كُلُّهُمُ لَوْ رَآهُمْ مَادِحٌ لَهَجَا

وهي صورة قاتمة، والواقع أنها صورة لنفسه، وليست صورة للحياة، "وليس العقل كالمرآة الصاخبة التي تعكس صور الأشياء كما هي تماما، ولكنه كالمرآة الملتوية التي تمزج صورة نفسها بصور الأشياء التي تصورها، فتصيبها بالفساد والتشويه"[1]؛ فنظرة الإنسان/ المغترب إلى الأشياء هي في حقيقتها صورة نفسه المغتربة، تذكر بحقيقة الكأس ونظرة المتفائل لها، وما يقابلها من نظرة المتشائم، "وفي وسع العقل أن يخلق وهو في مكانه مقيم جحيما من

[1] – أحمد أمين وزكي نجيب بدوي: قصة الفلسفة الحديثة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1936، ج1، ص63.

الجنة، أو نعيما من الجحيم"[1]؛ ويميل إلى العزلة التي تتسع متجاوزة الآخرين إلى عزلة الدنيا ذاتها، يقول: (خفيف)/(د:ص304)

فَاتَنِي وَاحِدِي فَبِّتُ فَرِيدًا ذَا انْتِشَاءٍ وَلَسْتُ فِي وقت رَاحِ

سَوْفَ آوِي إِلَى الْجِبَالِ فَإِنِّي مِثْلُ سُمِّ الْخِيَاطِ عَادَتْ بِطَاحِي

فقد دفعته صورة المجتمع . كما رسمها. على استبداله بـ **(الجبل)** بعدما رأى الخلل وافتقد الصدق والثقة، وساء ظنه في الناس، ووجد الوحدة خير معين عليهم، "والإنسان الذي يخلع على حياته معنى ذاتيا صرفا، دون أن يتمكن من تحقيق أي تآزر بينه وبين غيره، بل دون أن ينجح في التعاون مع الآخرين من أجل العمل على إسعاد غيره من بني الإنسان، لا بد أن يجد نفسه - في خاتمة المطاف - نهبا لأحاسيس القلق والغربة والضياع"[2].

فلجوء الشاعر إلى العزلة مرده تشاؤمه الذي جعله عاجزا عن التكيف مع من حوله، ولا عجب أن آثار الوحدة، ووجد فيها الأمن من شرور الناس، وأثنى على من جعلها أنسه، يقول: (الوافر)/(د:ص393)

فَقُلْ مَا أَكْدَرَ الدُّنْيَا حَيَاةً وَأَسْرَعَهَا إِذَا صَفَتِ انْقِرَاضَا

وَأَسْلَمُ أَهْلَهَا مِنْهَا فَرِيدٌ إِذَا انْبَسَطَتْ لَهُ ازْدَادَ انْقِبَاضَا

ويخاطب نفسه يؤنبها على ما قصر عليه من الغواية مستشعرا نذر الموت بقرب الرحيل، وحساسيته هذه عبرت عنها **سيمون دي بوفوار** بقولها:" وعندي أن الزمان يمتزج بالموت وأننا نقترب منه لا محالة، ومن هنا كان الإحساس بالرعب من هذه الهزيمة وعلى الأصح من هذا الخطر الملح من أن شيئا سوف ينكسر"[3]، ويطول به التفكير وتضيق به الدنيا، يقول: (طويل)/(د:ص120)

تَفَكَّرْتُ فِي الدُّنْيَا وَفِي غُرْبَتِي بِهَا فَضَاقَتْ عَلَيَّ الأَرْضُ فِي الْطُولِ وَالْعَرْضِ

يتمنى الموت، ويتقبل كل ما يقضي به الله -عز وجل- يقول:

---

[1] – ديل كارنيجي: دع القلق وابدأ الحياة، ترعبد المنعم محمد الزيادي، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1980، ص 150.

[2] – عز الدين إسماعيل : كل الطرق تؤدي إلى الشعر، ص166.

[3] – خديجة قاسم : حوار مع الكاتبة (سيمون دي بوفوار)، 165.

(مجزوء المتقارب)/ (د:ص330)

رَبِّ أَمِتْنِي وَأَجِبْ دَعْوَةَ عَبْدٍ شَكَرَكْ

رَاضٍ بِمَا قَدَّرْتَهُ مَنْ لَيْسَ يَرْضَى كَفَرَكْ

يقول حنا الفاخوري: "وشعر الحصري شعر الطبع، يفيض في متانة وسهولة ورونق، إنه الشعر الذي يشعرك بشخصية صاحبه، ومقدرته على الغوص والتحليق في غير جهد ولا إكراه، وسيطرته على المعاني والأساليب التعبيرية[...]أضف إلى ذلك إن شعر الحصري هو شعر الموسيقى المتأنقة التي تحمل في تياراتها نشوة حقيقية حافلة بالعذوبة"[1]؛ وهو ما ستحاول الدراسة الإيقاعية التركيبية تبيينه.

[1] – حنا الفاخوري : تاريخ الأدب في المغرب العربي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1996، ص134.